

ملامح الشخصية الروائية
"الشيخ والبحر" لإرنست هيمنغواي أنموذجا
a novelist's characteristics,
.Ernest Hemingway's The Old Man and the Sea
As a model

د/أمال بوكرت*

تاريخ النشر: 2021/08/20	تاريخ القبول: 2021/06/28	تاريخ الإرسال: 2021/06/07
-------------------------	--------------------------	---------------------------

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تقصي دور الشخصية وسماتها وكيفية انبثاقها في صلب المتون الروائية بوصفها مكونا أساسيا لا يمكن الاستغناء عنه، فهي تتضافر مع باقي العناصر السردية الأخرى لتشكيل كنه العمل الأدبي وهويته، كما تتقصد كشف الأسباب والعوامل المؤدية إلى صمود بعض الشخصيات دون غيرها في عدد معين من الروايات، مثلما هو الحال في رائعة 'هيمنغواي' التي قاومت الزمن واستقرت على هرم الروائع العالمية باعتراف من النقاد إذ أضحت من ركائز الأدب العالمي فلا يمكن تجاوز توليفتها بالرغم من بساطة أسلوبها وحبكتها، إضافة إلى ما يتمتع به المتن السردى من خصائص فاعلة في قولية الشخصيات بالشكل الذي يتواءم مع طبيعة الرواية ومراميها.

الكلمات المفتاحية: الملامح، الشخصية، الرواية، الشيخ والبحر

Abstract:

This research will look into the role of personality and its features, as well as how to include them into the narrative text as an essential and important component, as they mix with the rest of the narrative parts to establish the literary work's essence and identity. It also aims to highlight the reasons and elements that contribute to some characters' steadfastness while others in a certain number do not. From novels that have stood the test of time, such as Hemingway's masterpiece, to the pyramid of worldwide masterpieces that have received critical acclaim. Despite the simplicity of its style and story, as

*. جامعة البليدة2. amelarabedz@gmail.com

well as the features of the narrative text efficient in shaping, it became one of the pillars of world literature, and its synthesis cannot be surpassed. The characters behave in a way that is compatible with the novel's essence and purpose

Key words: *The Features, the character, the novel, the old man and the sea*

*** **

1. توطئة:

تعد الشخصية أهم مكونات العمل الحكائي، لأنها تمثل العنصر الحيوي الذي يضطلع بمختلف الأفعال التي تترابط وتتكامل في مجرى الحكيم، بحيث لا يمكن تصور عمل أدبي دون شخصيات، ومن ثم كان التشخيص هو محور التجربة الروائية، ومع ذلك يواجه البحث في موضوع الشخصية صعوبات معرفية متعددة، حيث تختلف المقاربات والنظريات حول مفهوم الشخصية وتصل إلى حد التضارب والتناقض، ففي النظريات السيكلوجية تتخذ الشخصية جوهرًا سيكلوجيًا، وتصير فردًا شخصيًا، أي ببساطة كائنًا إنسانيًا، ومن المنظور الاجتماعي تتحول الشخصية إلى نمط اجتماعي يعبر عن واقع طبقي، ويعكس وعيًا إيديولوجيًا، بخلاف ذلك لا يعامل التحليل البنيوي الشخصية لا باعتبارها جوهرًا سيكلوجيًا، ولا نمطًا اجتماعيًا وإنما باعتبارها علامة يتشكل مدلولها من وحدة الأفعال التي تنجزها في سياق السرد وليس خارجه "إن البنيوي وهو مجرد الشخصية من جوهرها السيكلوجي ومرجعها الاجتماعي لا يتعامل مع الشخصية بوصفها كائنًا أي شخصًا وإنما بوصفها فاعلًا ينجز دورًا أو وظيفة في الحكاية، أي بحسب ما تعمله"⁽¹⁾.

لقد بدأ التفكير بدراسة الشخصية بطريقة علمية تجريبية منذ أواخر القرن التاسع عشر ونشأ في علم النفس علم خاص يسمى علم الشخصية يدرس الإنسان، مركز في الوقت نفسه على الفروق الفردية وعلى تشابهه مع غيره من الأفراد، ولما كانت هناك جوانب متعددة للشخصية، منها ما يكتسب من البيئة والثقافة، وكذلك أنواع مختلفة من السلوك، فقد اختلف الباحثون في الشخصية في تعليمهم جانبًا على جانب، أو في تركيزهم على عنصر دون آخر، فبعضهم يؤكد في نظرياته على الغرائز والقوى الفطرية التي تحدد سلوك الفرد وتجعله حتميًا، فيما يؤكد غيرهم على الجوانب الاجتماعية والتربوية في تفسير سلوك الفرد وإمكانية تعديله⁽²⁾.

وقد استقطب مفهوم الشخصية وكل ما يتصل به من مفاهيم الفكر الأدبي منذ 'أرسطو' وحتى اليوم، وظل المشتغلون به ينظرون إليه دائما بحسب المنظورات الثقافية والأخلاقية المتحكمة أو السائدة، غير أن أهم الإنجازات في هذا المضمار تحققت مع 'بروب' في دراسته للحكاية العجيبة وفي التطورات الخصبية التي تحققت مع السيميائية وما بعدها. وداخل المنظور البنيوي نجد اختلافات مهمة في رصد الشخصيات وطرائق تحليلها، فإذا كان 'غريماس' قد نجح في إقامة نظرية للعوامل بعد تطويره لوظائف 'بروب'، فإن 'تودوروف' والسرديين حاولوا معالجتها باعتبارها صوتا سرديا أكثر منها عنصرا حكايا وفي هذا الإطار يذهب 'رولان بارت' إلى إبراز أن مسألة تصنيف الشخصيات لما يتم حسمها، رغم محاولات 'غريماس' و'بريمون' و'تودوروف'، ذلك أن الصعوبة الحقيقية التي تقدمها مسألة التصنيف هاته ترتبط بمكان الذات في أي مؤثر عاملي، كيفما كانت الصياغة النظرية وذلك بسبب تعدد الشخصيات ومواقعها.

ولقد نجح 'فيليب هامون' وهو يحاول الاستفادة من أعمال السيميوطيقين ويركز على البعد الأدبي الذي أهمله السيميوطيقون، أن يقدم تحليلا شاملا متكاملا للشخصيات، ولكل ما يتصل بها في مختلف أعماله وخاصة دراسته حول الشخصي في الرواية التي انطلق فيها من تحليل روايات 'زولا' الذي اعتبره الروائي الكبير الذي يخلق شخصيات 'حية' لذلك نجده وعلى خلاف المشتغلين بالشخصية يهتم ببعدها التخيلي والوظيفي مسجلا أن الدراسات السردية الحديثة اهتمت بالبعد المركب للحكي، وأهملت القضايا المهمة التي تطرحها مقولة ترتيبية النسق والتي يراها تكمن في: قضية التمييز بين الشخصيات الأساسية والثانوية، وقضية الهيمنة من خلال هيمنة وحدة أو مستوى تنظيمي على آخر، قيود التلفظ وعلاقته بالملفوظ⁽³⁾.

مما يحيل على تنوع الطرق والمنهجيات في تفسير مكون الشخصية من زواياها المتعددة سواء كانت نفسية أو اجتماعية أو أدبية، مع تشعب سبل معالجتها في المجال الواحد وكذا تنوع مقاصدها الدلالية في العمل الأدبي الواحد.

2. ملاح الشخصية الروائية:

تحظى الشخصية بالاهتمام الكبير لكونها المحرك الرئيسي في المتن السردية، لذلك يعتمد المبدعون إلى التخطيط لهويتها وملاحها النفسانية والجسمانية، وإن كانت الرواية

الحديثة قد تعاملت مع الشخصية الروائية بوصفها كائنا ورقيا لا داعي للتأصيل لوجوده وصنع تاريخ له بقدر ما يجب أن يتحقق الاهتمام بفاعلية هذه الشخصية مع المكونات السردية الأخرى والتركيز على رداات فعلها فيما يتعلق بالأحداث المحيطة بها؛ " مباشرة بعد تخيل الكاتب لشخصيات روايته يبدأ بفتح ملف لكل شخصية يصفها فيه وصفا دقيقا وكأنها شخصية حقيقية، ويصنع لها سيرة وتاريخا ونسبا ولا يفوته شيء من الوصفين الخارجي والداخلي بما في ذلك البيئة التي عاش فيها هذا الإنسان، والمدارس التي تلقى فيها تعليمه، والأمراض الذي أصابته في صغره، وقصص الحب التي عاشها قبل أحداث الرواية، وحين يصبح للشخصية تاريخ ووجود يختار منه الكاتب ما هو ضروري للقارئ لمتابعة أحداث الرواية وبمهل الباقي"⁽⁴⁾، كانت هذه هي الاستراتيجية المتبعة في الروايات الكلاسيكية لبناء شخصية أقرب ما تكون إلى الإنسان الحقيقي بهدف إقناع المتلقي، لتتغير القواعد مع 'الآن روب غريي' صاحب كتاب "نحو رواية جديدة، فقد ضرب عرض الحائط تلك القواعد والأسس التي تحدد هوية الشخصية وجعلها كائنا ورقيا لا حياة له ولم يجعل لها تاريخا خاصا بها وإنما أرادها فاعلا لأحداث يملها عليها الراوي، لأن هذا الأخير يربط الاهتمام الذي أولاه روائيو القرن التاسع عشر للشخصية بصعود قيمة الفرد في المجتمع ورغبته في السيادة أي ما أسماه بـ "العبادة المفرطة للإنساني" وهذا ما يفسر كون الشخصية لديهم كانت تختزل مميزات الطبقة الاجتماعية، وأصبحت كل عناصر السرد تعمل على إضاعة الشخصية وإعطائها الحد الأقصى من البروز وفرض وجودها في جميع الأوضاع⁽⁵⁾.

بما أن الشخصية لا يمكنها أن تظل مرتبطة بحياة مجتمع انتهى فقد تخلت الرواية عن فكرة القوة العظمى للشخص، وهكذا انتقل خلل المجتمع إلى الشخصية الروائية التي حطمت القواعد المتفق عليها من تغيير لاسم وشكل البطل في العمل نفسه.

1.2 طرق التشخيص:

اعتمد الروائيون الكلاسيكيون على تشخيص شخصياتهم الرئيسية من خلال اعتماد فقرات تصف المظهر الجسدي والطبيعة الخلقية والنفسية بالتفصيل، مما يمنح شعورا بالسطحية وغياب التشويق، في حين هناك شخصيات توصف بالسكونية وأخرى دينامية أو تطويرية، فالنظرية تلاءم بشكل خاص الرواية الطويلة، ويقدم التشخيص المسطح الذي يتراكم عامة مع التشخيص المسطح الذي يتراكم عامة مع التشخيص

السكوني سجية منفردة، تُرى على أنها السجية السائدة أو الأكثر وضوحا من الناحية الاجتماعية، أما التشخيص المستدير شأنه شأن الدينامي فيتطلب مدى وإحاحا، ومن الواضح أنه يصلح للاستعمال من أجل شخصيات تتركز فيها وجهة نظر أو اهتمام معين⁽⁶⁾، وحسب 'رينيه ويليك' يوجد نوع من الترابط بين التشخيص وهو منهج أدبي وبين علم الشخصيات أي النظريات في الشخصية ونماذج الشخصيات، وهناك علم نماذج الشخصيات وهو في قسم منه تراث أدبي وفي قسم آخر أنثروبولوجي شعبي،

فالتشخيص يتعلق بنوعين من الشخصيات، النوع الأول يتميز بالسكون ويبقى على الحالة الأولية نفسها التي أرادها له الراوي، وغالبا ما تضطلع تلك الشخوص بأدوار ثانوية في العمل الأدبية إذ لا يستهدف الكاتب تتبع سيرتها في المتن ولا إنشاء عوالم خاصة لها ما دامت لا تخدم حبكة الرواية ولا هدفها، بينما يتميز النوع الثاني بالحركية والتطور على مدى أطوار العمل الروائي فهي تتأثر وتتغير بفضل ما يقع عليها من أحداث، وغالبا ما تكون في مرتبة الشخصيات البطلة الفاعلة التي تستقبل الأحداث وتغير فيها.

أما 'فيليب هامون' نلفيه يقسم الشخصية إلى ثلاثة أنواع من وجهة نقدية سيميائية، فالشخصية تنقسم إلى فئة "الشخصيات المرجعية" مثل الشخصيات التاريخية والشخصيات الأسطورية، وكذا الشخصيات الاجتماعية، وفئة "الشخصيات الإشارية" التي يعتبرها 'هامون' دليل حضور المؤلف أو القارئ أو ما ينوب عنهما في النص، ويكون من الصعب أحيانا الإمساك بهذه الشخصيات، والفئة الثالثة هي فئة "الشخصيات الاستذكارية" هذه الشخصيات تقوم داخل الملفوظ بنسج شبكة من الاستدعاء والتذكير، بأجزاء ملفوظية وأحجام متفاوتة ووظيفتها وظيفية ترابطية وتنظيمية بالأساس⁽⁷⁾.

2.2 أشكال تقديم الشخصية:

تعدد طرق تقديم الروائي لشخصياته بالنظر إلى تاريخ الرواية، ذلك أن هذه الأشكال تخضع لمنطق التحول الإبداعي من فترة إلى أخرى، وترتبط باختيارات الكاتب الفنية والجمالية، فمن الكتاب من يحرص على إبراز شخصياته بأدق تفاصيلها، فيسهب في وصف طبائعها وتعيين ملامحها مثلما يتجسد في الرواية الواقعية والاجتماعية، وهناك من يعتمد على الإيجاز والاختصار، فيترك شخصياته بدون ملامح وأوصاف، وفي أحسن الأحوال يقدم معلومات ضئيلة لا تكفي لرسم صورة واضحة عنها، وهناك من يعتمد إرباك القارئ وتضليله

بوضع شخصياته في أوضاع غامضة ومفارقة مثلما يشيع في الروايات الحديثة، حيث الشخصية الواحدة تحمل أكثر من اسم، وشخصيات مختلفة تحمل الاسم نفسه، وشخصيات مختلفة تقوم بالأفعال نفسها، وتتشارك الأوصاف نفسها⁽⁸⁾.

اقترح 'فيليب هامون' مقياسين أساسيين من أجل تقديم الشخصية، المقياس الكمي من خلال رصد كمية المعلومات المتواترة حول الشخصية وطريقة استعراضها إن كان بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، والتقديم المباشر يكون من خلال استعراض الشخصية معلومات تعريفية تخصها بنفسها، أما عن التقديم غير المباشر فيتولاها السارد أو شخصية أخرى.

يعتبر المونولوج طريقة من طرائق تقديم الشخصية لنفسها، خاصة وأن القارئ سيكتشف عالم الشخصية الداخلي " اتجه الكتاب إلى طرائق تبدو فيها الشخصيات مستقلة عن هيمنة السارد- الراوي- باتباعهم طريقة المونولوج الداخلي... نظرا لاهتمامهم بالتعبير عن كل ما هو شخصي وفردى، بعيد عن النمذجة، والتنميط، وهذا بطبيعة الحال، يلقي بالأضواء الكاشفة على الحياة الداخلية، والخاصة للشخص..."⁽⁹⁾.

إلى جانب المونولوج يتمتع الحوار بالعديد من المزايا لتحديد ملامح الشخصيات وتبسيط الضوء على عالمها الداخلي خاصة النفسي، يعرف جيرالد برنس السرد الحوارى بأنه سرد يتميز بتداخل أصوات متعددة وأكثر من وعي وآراء حول العالم لا يمتلك أي أحد منها تفوقا أو سلطة على غيره، سرد متعدد الأصوات، وفي الحوارى على النقيض الذاتى أو الأحادى؛ فإن آراء السارد وأحكامه وحتى معرفته لا تشكل المرجع النهائى بالنسبة للعالم المعروض، ولكن مجرد إسهام بين إسهامات أخرى ومشاركة في الحوار، قد تكون أقل أهمية وإدراكا من بعض الشخصيات الأخرى، ووفقا لباختين فإن رواية 'الإخوة كارامازوف' تقدم لنا مثلا جيدا عن السرد الحوارى⁽¹⁰⁾، من مكونات الحوار المخاطب والمخاطب والموضوع ومجال الموضوع، والأسلوب إذ يكون الحوار سلسا منظما، أو مقتضبا تتخلله وقفات.

تتعلق السمات بالملامح التي تميز شخصية ما عن باقي الناس، إذ يقع على عاتق الكاتب أن يصور الشخصيات من الناحيتين الفكرية والنفسية، وقد حصرها 'عبد الله خمار' في نقاط:

- التركيز على ما يميز الشخصية عن غيرها، وإبراز ما يشد الانتباه إليها في المظهر أو عيوب نفسية أو خلقية.

- المنهجية في وصف الجسم والانطلاق من العام إلى الخاص أو العكس.
- استعمال بعض عناصر الوصف الخارجي المناسبة لوصف الجسم.
- المزج بين الوصفين الداخلي والخارجي للشخصية فهما كل لا يتجزأ.
- الوصف التدريجي للشخصية وتقديمها على مراحل وربط الوصف بالأحداث دفعا لملل القارئ⁽¹¹⁾.

2.2 مقومات الشخصية الروائية:

تمهض الشخصيات الروائية على مجموعة من الأسس والمقومات التي يزرعها الروائي فيها، منها ما تعلق بخصائصها المرتبطة بالهوية الأساسية من خلال تحديد الاسم، والجنس، والوظيفة الاجتماعية، يبدأ أن الاسم لم يعد له أهمية في عرف الرواية الجديدة، كما تنبني الشخصية وفق محددات مادية ومعنوية، وكذا وفق جملة الأوضاع التي تكون عليها الشخصية في مواقف وأحداث معينة.

إضافة إلى ما سبق تتجسد مقومات الشخصية الروائية من خلال علاقاتها سواء في مستوى الأفعال وهي المتدخل قبل وقوع الفعل وهو 'المؤثر' الذي يفعل في الشخصيات، و'العون' وهو الفاعل أو المضطلع بالفعل، و'المتقبل' أو المفعول به وهو الذي يقع عليه الفعل، أو على مستوى علاقات الشخصيات في مستوى العوامل، إذ صنفها 'غريماس' في ثلاث ثنائيات: مرسل/ مرسل إليه، باحث/ مبحوث عنه، مساعد/ مضاد، أما على مستوى علاقات الشخصيات في مستوى التواصل، إذ أصل له 'تودوروف' الذي حاول إرجاع العلاقات الفعلية اللامحدودة إلى علاقة مجردة قليلة العدد، إذ لا تتجاوز ثلاث علاقات متمثلة في: علاقة رغبة، علاقة تواصل علاقة مشاركة⁽¹²⁾.

3.2. علاقة الشخصية بالزمان والمكان والحدث:

يحيا الإنسان في إطار الزمان والمكان وينمو ويتطور، فالزمن يلعب دورا بالغ الأهمية لكونه يتفاعل مع الشخصية ويسمح لها بالتحرك فيه عبر أطرافه الثلاث (ماضي، حاضر، ومستقبل) بكل حرية وخفة، فإن الشخصية لا تستطيع إلا أن تكون مع الزمن صورة سردية متشابكة بحيث تتلاءم وما يبثه الروائي في عالمه السردى الخاص، يرتبط الزمن بالشخصية من خلال الإحالة على بنائها من الداخل "تتمثل أبرز وظيفة يؤديها في إخراج الشخصية الروائية من سببية التسلسل الحدتي، ومن هيمنة البعد المادي الممثل في المكان ثم تحرير

الشخصية من مثول شخصية الراوي فالمجال الحيوي للزمن هو مستويات الذهن والشعور واللاشعور مما يترتب عنه تخلي الشخصية عن وضع تقمص ضمير الغائبين لتحتل مرتبة المتكلم، وهذا يفتقد الإحساس بوجود الحدود والحواجز الفاصلة بين مختلف أبعاد الزمن، وإن هيمن بعد الزمن الماضي على مساحة النص الروائي ولكنه المختار والمنتخب، وفقا لما هو عليه حال الشخصية في سياق الحاضر، وما سوف تكون أو يتوقع أن تصير إليه مستقبلا"⁽¹³⁾.

بما أن الزمان والمكان مرتبطان ولا يمكن الفصل بينهما، نجدهما يؤثران معا في الشخصية، يكون المكان متحكما في حركة القصة وفاعلا في شخصياتها وفي جملة علاقاتها وأحاسيسها وأفكارها أيضا، وفي هذا المعنى قال 'هنري ميتران': إن الفضاء المكاني هو أحد العناصر الفاعلة التي يقوم عليها العمل القصصي، وإذا ما جعلت للمكان هذه الأهمية، فإن موقعه وملامحه ودلالاته الحضارية والاجتماعية تكون محكمة وفاعلة وذات نظام وثيق الصلة بنظام القصة الكلي. ويغلب على الأماكن ذات الوظائف الداخلية أن تكون متحررة من تسلط منشئها، وثيقة الصلة بعالم القصة الداخلي وبنظامه وحركة نموه التلقائي الذاتي، ومن هنا يكون تغييرها متصلا بالأحداث عموما وبالعلاقات الشخصية ونفسياتها خصوصا"⁽¹⁴⁾.

تتصل الشخصية هي الأخرى بالحدث لكونها الموكلة بإنجازه ولا يمكن تصور شخصية دون حدث فهي إما تصنعه أو تتلقاه فيقع عليها، يصف 'عبد الله إبراهيم' تلك العلاقة قائلا: "...خاصة فيما يخص الحدث والشخصية، إذ أن ترتيب الحدث يشكل إحدى المعضلات الأساسية التي تواجه الروائي... إن الحدث خارجيا تتعاون شخصيات الرواية في صنعه، أو كان حدثا داخليا نفسيا يرتبط بوعي الشخصية وفعالها الداخلي، فالتوازن يكون في حالة الاستقرار بالنسبة للحدث الداخلي، وانعدام التوازن يتمثل في دخول عوامل جديدة أو طارئة تغير مسار الحدث، وهو بالنسبة للحدث الداخلي التغيير النفسي الذي يصيب الشخصية، وربما التغيير الفكري الجديد يتمثل في حالة الاستقرار الجديد الناشئة بفعل الأحداث أو الصراع النفسي أو الفكري في كلا نوعي الحدث، ولا يشترط في حلقة إعادة التوازن الجديد، أن يكون الحدث سائرا في اتجاه واحد وتطلعات الشخصية، فقد يكون موتا أو هزيمة أو انتصارا"⁽¹⁵⁾. ولأن الحدث يتلاحم مع الشخصية أثر 'فلاديمير بروب' إلا أن يجعل الشخصية بمثابة الوظيفة بسبب اضطلاعها أساسا بمهمة القيام بالأحداث.

3. الشخصية في رواية 'الشيخ والحر':

1.3 ملخص الرواية:

تسلط الرواية الضوء على رجل عجوز 'سانتياغو' الذي يعيش وحيدا منبوذاً من أهل قريته، فهو معروف بسوء الطالع إذ لم يصطد أية سمكة منذ ما يقارب المئة يوم، من هواياته تتبع أخبار البيسبول، اعتاد على غلام يرافقه في الصيد لكنه تركه بأمر من والديه، قرر في صباح باكر أن يصطاد سمكة كبيرة، حدث وأن التقطت سمكة ما الطعم غير أن الشيخ عجز عن رفعها ولو قليلاً، جرّت السمكة قارب الشيخ لأيام وليال دون أن ينجح في رؤيتها، لكنه تأكد من أنها سمكة قوية وفريدة من نوعها، استطاع في نهاية المطاف أن يرى السمكة ولم يصدق حينها مدى ضخامتها وجمالها الأخاذ كانت من نوع 'مارلين' أي سمكة سيف، قاتل الشيخ طويلاً من أجل أن يطعن السمكة بحربونه، وبعد عمل شاق جداً أدى إلى جرح يديه استطاع أخيراً أن يقترب من السمكة وأن يطعنها في الجانب مستهدفاً قلبها، انتشر عبق دماءها في مياه البحر لأميال وهذا ما أدى بسمكة القرش من نوع 'ماكو' بأن يندفع صوبها، استطاع سمك القرش بفضل أنيابه أن يلتهم أربعين رطلاً من سمكة تزن أكثر من خمسة عشر ألف رطل، لكن الشيخ تمكن من القضاء عليه بفضل يديه القويتين، توافدت على السمكة أسماك قرش أخرى جعلت الشيخ يخوض معركة مريرة أخرى، انتصر فيها ولم يبق في سمكته إلا نصفها، صادفت الشيخ معركة أخرى أخيرة في غمرة الظلام وبالقرب من ميناء المدينة، هجم قطع كامل من أسماك القرش على سمكة السيف، لم يكن لدى الشيخ أي سلاح يدافع به عنها، إلا أنه حاول حمايتها دون جدوى، لقد أبقّت أسماك القرش على الرأس والذنب فقط ولو يتركوا منها إلا هيكلًا عظمياً، وصل الشيخ إلى المدينة خائر القوى، فقد قضى أربعة أيام في المحيط لوحده، خاض معركة ضروساً دون أن يحظى بشيء. قابله الغلام في اليوم التالي والحزن يعتصر قلبه، وعده بأن يعمل مجدداً ولن يتركه لأنه بصدد التعلم من خبرته الواسعة.

2.3 طرق تشخيص شخصيات الرواية:

يعد 'هيمنغواي' من أبرز كتّاب الرواية الجديدة فإن هذا التوجه الجديد الذي جاءت به الرواية في ثوبها الحديث لم يعد يعبأً بالتقاليد التي حرصت رواية القرن التاسع عشر على وجودها في أي عمل روائي، 'هيمنغواي' كتب من وحي قناعاته وإبداعه عملاً روائياً مميّزاً لاقي

تقدير العالم واحترامه بأبسط الطرق وأسهلها، ولعل هذا ما جعل شخصيات الرواية تصمد في وجه الزمن، يخالف 'هيمنغواي' طريقة 'سكوت' في تقديمه لشخصيات الرواية فهو لا يحزر فقرة يصف فيه تفاصيل المظهر الجسدي للشخصية ثم يتبعها بالتحليل النفسي والخلقية لها، وإنما يقدم هذه التفاصيل الجسدية والنفسية في أماكن مختلفة ومتباعدة في النص الروائي، وبعبارات موجزة ودقيقة وكمثال على ذلك نستعين بالجملة الأولى من الرواية التي قدم فيها الكاتب الشخصية الرئيسة: "كان رجلاً عجوزاً يصيد السمك وحده في قارب عريض القعر في تيار الخليج"⁽¹⁶⁾، 'He was an old man who fished alone in a skiff in the Gulf Stream'⁽¹⁷⁾، ركز الكاتب في الصفحة الأولى من الرواية على قص حوادث وقعت للشيخ من قبل، وذكر ما فعلته الشمس ببشرته أثناء إبحاره في عرض المحيط.

ينطبق التشخيص المسطح على 'الشيخ' لكونه الأنسب من أجل توضيح سجيته وحقيقته وكيفية تعامله مع ما قد يواجهه في حياته بثبات ورزانة، فهو ليس بصدد بلورة نفسه أو بناء مبادئه وآرائه المتعلقة بالحياة وإنما وبحكم سنه وخبرته وتجربتها فيها، همه في تلك الرواية يكمن في كشف حقائق فلسفية تخطر على ذهنه فجأة، وتتشكل في ذهنه صور مختلفة عن موضوعات متعددة، بينما ينطبق التشخيص المستدير على 'الغلام' لأنه يهتم بقضية بقائه مع الشيخ ورعايته له بالرغم من إبعاده عنه من طرف والديه، فالغلام الصغير الذي يحذو خطوات الشيخ ويتخذها قدوة له ينبت عن مستقبل صياد آخر سيكون لا محالة له شأن كبير، فهو استمرار للرواية والصفحات الأخيرة من الرواية دليل على ذلك، 'فمانولين' حتماً سيحمل الشيء الكثير من الشيخ 'سانتياغو'، أما عن بقية شخصيات الرواية دون احتساب البحر وما فيه من شخصيات تعمل على إضاءة فكرة المتن القصصي تفضي إلى التقارب الشديد بين أهل جزيرة هافانا، أما عن البحر نفسه جعله الكاتب رفيق 'الشيخ' الوحيد، لقد ضمن الكاتب روحاً هائلة للبحر ولاقاها بالشيخ من خلال ضوء القمر والشمس والنجوم، كان البحر والسمكة بمثابة أعز أصدقاء الشيخ في رحلته تلك "لشد ما أتمنى لو أستطيع أن أطعم السمكة. إنها أختي"⁽¹⁸⁾، 'I wish I could feed the fish. He thought. He is my brother'⁽¹⁹⁾، لم يتعامل الشيخ مع السمكة على أساس أنها مصدر لجلب المال والمجد، بل ربطته علاقة حب وامتنان معها.

لقد جعل الكاتب الحياة تدب في البحر والقمر والشمس والنجوم، شخّص الجمادات وجعلها تحيا مع الشيخ الشخصية الرئيسة في الرواية، التي يعتبرها نقاد البنيوية

كائنات ورقية تقوم بأفعال ووظائف وهي خاضعة لسلطة الحدث، ويمكن حتى الاستغناء عنها في أي عمل روائي آخر، وهذا لا يمكن التسليم به في مجمل الروايات خاصة في رواية 'الشيخ والبحر' لأن الكاتب بثّ الحياة في الجمادات بسبب تعلق الشخصية الرئيسة بالطبيعة وبالخصوص بالبحر وما يحتويه، التشخيص بصفة عامة يُلبي مطالب الشخصيات الحية الأخرى التي قد تلقى مثلتها في الواقع المحسوس.

3.3 أشكال تقديم الشخصيات:

لم يسهب الكاتب في ذكر ماضي الشخصيات والتفاصيل المحيطة بها، وإنما اختار أن يرسل ومضات عن ماضي الشخصيات خاصة الرئيسة منها، بالرغم من كون تلك المعلومات مقتضبة فهي غير قاصرة عن رسم صورة كاملة عن تلك الشخص في ذهن المتلقي، وإن كان الغرض من هذا ترك المجال للقارئ في أن يتخيل الحياة الكاملة التي عاشها 'سانتياغو' بالخصوص وصولاً إلى بداية أحداث الرواية.

أغلب المعلومات عن شخصية 'الشيخ' قصها الراوي، ما عدا جملة "أنا عجوز غريب"، إذ يستحوذ الراوي على المكانة الأكبر من سرد الأحداث وتقديم الشخصيات التي نادراً ما تستل ضمير المتكلم للتحدث في حالة الحوار بينها، أو في الحوار الباطني أو الخارجي، فالراوي يتكفل بمهمة إعطاء التفاصيل المتعلقة بتقديم الشخصيات على اختلاف تواجدها في الرواية، لقد قدم 'سمكة السيف' كل من الراوي والشيخ.

إلى جانب تقديم الراوي للشخصيات الروائية، يعد المونولوج وسيلة ناجعة من أجل اختصار المسافة بين الشخصية السردية والقارئ وهذا ما جعل الروائي شخصية 'هيمنغواي' تعتمد عليه بشكل لافت في الرواية، مباشرة بعد الحوار الذي دار بين الشيخ والغلام وبمجرد صعود الشيخ القارب وبدأه للتجديف يبدأ المونولوج بفعل فعلته بالشيخ، ويصرح من خلاله بالعديد من الحقائق التي لم تتجرأ الشخصية على ذكرها بصوت عال حتى وهي وحدها في عرض المحيط. من القرائن الدالة على المونولوج الداخلي من النص "كذلك قال الشيخ في ذات نفسه"، "كذلك فكر"، "وعن الخارجي: "قال الشيخ في صوت عال"، "وصاح الشيخ"، "قال الشيخ في صوت مرتفع".

فالمونولوج الداخلي هو حوار بين الشخصية ونفسها لكنه غير مسموع، إنه قول لم يخرج من رأس الشخصية ولم تتفوه به، وإنما ظل حبيس رأسها الذي يواصل التفكير بعمق

وتركيـز، واصل 'الشيخ' مخاطبة ذاته الراهنة في العديد من الصفحات وأحياناً كان يتشاجر مع نفسه حين يشعر بالعجز والقلق، وأحياناً أخرى حواراً مع نفسه يدل على نشوء أفكار وخواطر "وقال في ذات نفسه: منذ صباي الأول والشمس المبكرة تؤذي عيني. ومع ذلك فهما ما تزلان صالحتين. وعند المساء، أستطيع أن أنظر في وجهها-هي الشمس- من غير أن تصاب عيناى بالسففة. أما في الصباح فالنظر إلى الشمس يورثني ألماً شديداً"⁽²⁰⁾.

الاختلاف بين المونولوج الخارجي والداخلي يكمن في التفكير بصوت عال، فالخارجي يعتبر كذلك لأنه منطوق ومسموع، الشخصية لا تخاطب أحداً سوى نفسها لذلك هناك من يعتبره مناجاة للنفس، فالكلمات التي تتفوه بها الشخصية وتسمعها وتعيها وهي لا تقصد أحداً بها هو ما نسميه مونولوجاً خارجياً "وقال في صوت عال: لو سمعني الناس أتكلم في صوت مرتفع لظنوا أنني معتوه. ولكن ما دمت معتوها فليست أبالي بظنونهم. وعلى أية حال فيجب أن لا أنسى أن عند الأغنياء راديوات تتحدث إليهم في مراكزهم، وتأتيهم بأنباء مباريات البيسبول"⁽²¹⁾.

وظيفة المونولوج الأساسية هي الكشف عن خبايا أعماق الشخصيات وتعريفها من كل ما يجعلها تتصف بالغموض والسرية، فالشيخ عبر بصراحة وبصوت عال في أكثر من موضع في الرواية على افتقاده للغلام، وأن وجوده كان ليغير العديد من الأشياء نحو الأحسن، واعترف بأن السمكة الضخمة تتولى الآن زمام الأمور فلا خيار له سوى التمسك بها قدر الإمكان، وكأننا به يحاول تنظيم أفكاره ويخطط بصوت مسموع، أما عن المونولوج غير المسموع يرتبط بالتعبير عن الحركات الداخلية للنفس الإنسانية.

وظف الكاتب تقنية الحوار بين شخصيات روايته وقد تحقق في بداية الرواية ونهايتها، أظهرت تلك التقنية العلاقات التي تجمع بين العوامل في الرواية، فالغلام لا تربطه علاقة دم بالشيخ، بل علاقة مودة واحترام وحب جارف للبحر وما فيه من كنوز، 'فمانولين' يمثل الدافع الضروري للشيخ الذي فقد في مرة من مرات كل أمل في تحقيق مراده، لذلك كان حواراً مع 'مانولين' معبراً للمضي قدماً في حياته والعودة للحلم من جديد.

4.3 مقومات الشخصيات الروائية:

أنشأ 'هيمنغواي' مجموعة من مقومات الهوية الأساسية، فالشيخ 'سانتياغو' كبير في السن، من خصائصه المادية الجسمانية: عينان زرقوتان، تجاعيد الوجه، عنق قوية، رجلان هرمتان، وكتفان غريبتان، أما عن خصائصه المعنوية فيما يتعلق بالثقافة فهو يقرأ

الجرائد. وفي محور الأحوال عايش الشيخ حالتين، الأولى ممثلة في فشله المتكرر في اصطياد الأسماك، والثانية في صراعه الكبير للحصول على سمكة سيف هائلة الحجم وفشله في الحفاظ عليها ومن ثم العودة بخسائر كبيرة إلى كوخة المتواضع.

وعن سمكة السيف جعلها الكاتب ذكرا، سمكة عجوز، بالغة الضخامة ولها لون بنفسجي جميل، غريزة الحيوان تدفعه للدفاع عن حياته، بالنسبة لمحور الأحوال: التهام السمكة للطعم ومحاولة الفرار به، كما وثبت وثبات عدة للتخلص من الصنارة وممرت أيام وليال على الوضع نفسه، تغيرت الحالة حينما دار السيف وصعد إلى السطح، لم يفوت الشيخ فرصة غرس الحربون في الجزء الجانبي من السمكة، ظلت السمك طوال رحلة الشيخ مربوطة على جانب القارب.

تتحقق مقومات الشخصية من خلال أنماط الفعل، فالتعاقد يتم بين المرسل (الدافع) مجسدا في رغبة الفاعل (الشيخ) في اصطياد السمكة مهما كلفه الأمر والمرسل إليه (السمكة)، ونمط البحث قوته إرادة الشيخ في إيجاد سمكة كبيرة يعود بها إلى الميناء، غير أن الصراع كان محتدما بين المساعد الذي يمثل قوة الشيخ وتحمله وإرادته الموفقة لتحرك السيف والمعرقل كان ضخامة سمكة السيف وأسماك القرش.

5.3 علاقة الشخصية بالزمان والمكان والحدث:

أ- الزمان:

الزمن ركيزة أساسية من ركائز البناء السردي، اهتم الشيخ كثيرا بأمر الزمن فقد مرّ أربع وثمانون يوما دون أن يصطاد شيئا، تفاعل الشيخ باليوم الخامس والثمانين علّه يغنم فيه، وحين قرر الإبحار ظل في البحر طيلة أربعة أيام وليلة يخوض فيها صراعا داميا مع سمكة السيف في بادئ الأمر ومع أسماك القرش بعدها. تظهر الإشارة للزمن في المتن الروائي في المقاطع التي يشعر فيها الشيخ بالقلق "ها قد انقضى يوم ثان لم أعرف فيه نتائج اللعب"⁽²²⁾، "ولكنك لم تنم بعد أيها الرجل العجوز. لقد سلخت نصف نهار وليلة بكاملها وها أنت تضيف إلى ذلك نهارا جديدا وعينك لم تعرفا الغمض لحظة واحدة"⁽²³⁾. فالكاتب حصر ملحمة واسعة في بضع أيام فإن البناء الزمني للشخصية من الداخل يجسد المجال الحيوي للزمن في مستويات الذهن والشعور واللاشعور، والزمن بصيغة الماضي في الأفعال هو المنتخب في هذه الرواية، أما عن تمركز الزمن الطبيعي في المتن عمد الكاتب إلى التسلسل

المنطقي للزمن، إذ يشهد المتلقي انقضاء الأيام والليالي بطريقة متسلسلة دون استباق للأحداث، يتخلل الماضي السحيق السرد في ذهن الشخصية مرات قليلة دون أن يؤثر على الزمن الأول للقاص.

ب- المكان:

يمثل المكان الزمان فهو مهم للشخصية الروائية، وهو إلى جانب باقي العناصر السردية الأخرى متحكم في حركية القصة وأحداثها، فالصيد العجوز الذي يملك قاربا له مكان واحد (البحر) يمارس فيه نشاطه، فهو الفضاء الكبير الذي يحتضن مغامرة الشيخ المساوية. المكان هو الأرضية التي تجابه فيها الشخصيات الأحداث القادمة صوبها. أثرت الأماكن في نفسية الشيخ وحياته فقد زار من قبل إفريقيا التي لم تغب عن ذهنه يوما كانت تزوره في أحلامه كل ليلة وتثير في نفسه كل شيء جميل، كما أن البحر هو المكان الذي سلم بتواجده فيه أينما حلّ في أي بلاد كان، فالبحر يلازم الشيخ لأنه منزله حتى تمثله 'الشيخ' كامرأة تذهب بعقول الرجال، البحر بمثابة صديق للشيخ يحمل أعداء وأصدقاء في جوفه، ولا وجود للشيخ دون البحر "حين كنت في مثل سنك كنت وافقا أمام السارية في مركب شرعي يطوف سواحل إفريقية، وكنت قد رأيت الأسود على الشيطان، بعد أن هبط الليل"⁽²⁴⁾، وفي إشارة أخرى للمكان "...واستمرس في الرقاد لكي يرى قمم الجزائر البيضاء تنهض من أعماق البحر. وبعد ذلك تبدت له في الحلم موانئ 'جزر الكناري' ومراسمها المختلفة"⁽²⁵⁾، فوظيفة المكان في هذا المتن الروائي تكمن في الجمع بين قطبي الرواية واحتضان الصراع الدائر بينهما.

ج- الحدث:

شخصية 'الشيخ' تنهض بالحدث وتؤديه، فهو من ألقى الطعم في الماء لتلتقطه السمكة الضخمة لاحقا، وعلى عاتق الشخصية أن تسرع من وتيرة الحدث أو تبطنه، وفي حالة 'الشيخ' فقد أبطأ من وتيرة الحدث حينما قضى مدة لا بأس بها من أجل صرع السمكة، نبع ذلك الحدث من ذات الشخصية فهي من صنعه، كما تلقى الشيخ حوادثا خارجة عن إرادته حينما انقضت أسماك القرش على سمكة السيف.

تكتسي الحدث مجموعة مراحل تعمل على بنائه بمشاركة من شخصيات الرواية، إن كان حدثا داخليا نفسيا يرتبط بوعي الشخصية وفعالها الداخلي مثلما حدث للشيخ حيث أصر على البقاء مع السمكة إلى أن يموت ولن يتركها مهما حدث، فهذا السلوك الذي نما في ذات الشخصية دليل على توازنها وقدرتها على التعامل مع الظروف الطارئة، وهذا النوع من

السلوكيات النابعة من الشخصيات متجسدة في الرواية، باعتبار أن الشخصية الرئيسة لا أحد من الشخصيات الأخرى يساندها باستثناء السمكة، التي تلازمها بوصفها رفيق رحلة وخصما في الآن نفسه.

4. خاتمة:

عالجت هذه الورقية البحثية ملاح الشخصية الروائية في رواية "الشيخ والبحر" للعالمي 'إرنست هيمنغواي' من خلال جوانب متعددة تعلقت بطرق التشخيص والتقديم وسمات وصفات الشخصيات ومقوماتها، والعلاقة التي تجمع بين الشخصية والزمان والمكان والحدث، وانعكاسات هذه الأطر النظرية على المتون الروائية، وتم التوصل من خلالها إلى عدد من النتائج نختصرها في:

*اعتمد 'هيمنغواي' في بناء شخصياته على البساطة والسهولة في التشخيص، إذ لم يهتم بالخلفية النفسية والتاريخية والجسدية للفواعل في الرواية بقدر ما اهتم برصد واقع الشخصيات وقص طريقة تعاملها مع المواقف الصعبة.

*إشارة الكاتب إلى مجموعة من القيم الإنسانية في متنه الروائي هو ما جعل روايته وشخصياتها تحظى بالصمود في وجه الزمن، لأن شخصية 'الشيخ' مثال يحتذى به في الإرادة والتحدي ومجاهدة اليأس.

*تتضافر كل المكونات السردية في بناء شخصية قادرة على خلق التأثير والتفاعل مع المتلقي. *تجتمع توليفة من الطرق والمناهج في دراسة الشخصية والتدليل على دورها وقيمتها وفعاليتها في الفنون الأدبية، من الجانب الاجتماعي والنفسي والتاريخي والبنوي والسيميائي والثقافي وغيرها، حتى تكتمل صورة الشخصية السردية ويتم الكشف من خلالها على المقاصد الدلالية القريبة والبعيدة.

5. الهوامش:

- محمد بوعزة، تحليل النص السردى تقنيات ومفاهيم. دار الأمان (الرباط). ط1. 2010. ص39.
- عبد الله خمار، تقنيات السرد في الرواية (الشخصية). دار الكتاب العربي (الجزائر). 199. ص22.
- سعيد يقطين، قال الراوي البنيات الحكائية في السيرة الشعبية. المركز الثقافي العربي (الدار البيضاء). ط1. 199. ص89.

- عبد الله خمار، تقنيات الدراسة في الرواية (الشخصية). مرجع سابق. ص 23.
- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي. المركز الثقافي العربي (المغرب). ط 1. 1990. ص 208.
- رينيه ويليك وأوستين راين، في نظرية الأدب. ترمحي الدين صبحي. المؤسسة العربية (بيروت). ط 3. 1999. ص 226.
- فيليب هامون، سيميولوجية الشخصية الروائية. ترسعيد بنكراد. دار الكلام (الرباط). 1990. ص 29-62.
- رينيه ويليك وأوستين راين، في نظرية الأدب. مرجع سابق. ص 231.
- إبراهيم خليل، بنية النص الروائي. منشورات الاختلاف (تونس). ط 1. 2010. ص 177.
- جيرالد برنس، المصطلح السردى. ترعابد خزندار. المجلس الأعلى للثقافة (القاهرة). ط 1. 2003. ص 59.
- عبد الله خمار، تقنيات السرد في الرواية. مرجع سابق. ص 25-26.
- الصادق بن الناعس قسومة، علم السرد (المحتوى والخطاب والدلالة). مكتبة الملك فهد (السعودية). ط 1. 2009. ص 206.
- بدري عثمان، بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ. دار الحدائق (بيروت). ط 1. 1980. ص 156.
- الصادق بن ناعس قسومة، علم السرد. مرجع سابق. ص 156.
- عبد الله إبراهيم، المتخيل السردى (مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة). المركز الثقافي العربي (بيروت). ط 1. 1990. ص 121-122.
- إرنست همنغواي، الشيخ والبحر متبوع بثلوج كليمانجارو. تر حسن بن مهدي. موفو للنشر (الجزائر). 1990. ص 01.
- Ernest Hemingway, The Old Men and The Sea. Penguin Books (England). 1966. P 01.
- إرنست هيمغواي، الشيخ والبحر. مصدر سابق. ص 59.
- Ernest Hemingway, The Old Men and The Sea. Ibid. p 51.
- إرنست هيمغواي، الشيخ والبحر. مصدر سابق. ص 30.
- نفسه. ص 37.
- نفسه. ص 69.
- نفسه. ص 78.
- نفسه. ص 18.
- نفسه. ص 21.